

رَسَامُ ثالثٌ وُلِدَ بأربعٍ أيدٍ ومعرضه في «غاليري ربيز» لور غريب ومازن كرباج يتحدان في لوحات بعد انفصال



لور ومازن كرباج في تجربة الرسم معاً.



أيقونات تشاركاً في رسمها في وقت واحد. (ميشال صايغ)

هي امه وهو ابنها، وبينهما تجربة غنية بتمايزات تصل احياناً حد التناقض، ولكن نتاجها لن يبصر النور الا عندما تصبح نسقا متكاملًا وروحاً واحدة. واذا لم تنجح في بلوغ هذه المرحلة تعود الى تكوينها الأول لتكون عملاً فردياً يحكي لغته الخاصة. هي تنمنم في عملها وتشبه نفسها بالنملة، وهو يفعل فيُبدع. هي تحرص على التفاصيل وتخاف المساحات البيضاء فتحبرها حتى البقعة الاخيرة، اما هو فلا يخشى شيئاً ويشعر انه سيد الورقة والقلم. هي تمسك القلم وتتركه يذهب بها الى حيث يشاء، اما هو فيتحكم في حركة القلم ومساره. هي تفضل في رسمها ان تكون «هو»، وهو يتمنى لو كان «هي». هي لم تتعلم الرسم، اما هو فلي. هي تعرض اعمالها في معارض، وهو يفضل ان يطبعها في كتب. هي جمهوره الاول وهو المتفرج الاول على اعمالها. هي في خريف العمر وهو في ربيع. هي امه وهو ابنها. على رغم كل هذا الاختلاف، يجمعهما شيان رئيسيان هما الحبر الاسود والقلم. انهما لورغريب ومازن كرباج اللذان قررا اخيراً الخروج بتجربة الرسم بأربع أيدٍ الى العلن.

«حبر ورق. انت وانا». اربع كلمات تختصر تجربة فريدة بدأها بعد حرب تموز ٢٠٠٦ من دون ان يكونا اكيدين من الأفق الذي يمكن أن تبلغه. يقول مازن: «كان كل واحد منا يعمل على رسومه الخاصة عن الحرب، ثم بدأنا العمل معاً على دفتر واحد. ترسم قليلاً ثم تمرر لي الدفتر فأرسم فوق رسومها وامرر لها الدفتر مجدداً».

وتتابع لور: «كانت التجربة تميل الى التعليق على الحدث اكثر من الرسم. لم نكن نستطيع مازن وانا ان نلتقي يومياً بسبب ظروف الحرب. كان يزورني بين الحين والآخر في بيتنا في السويديكو، ومعه دفتره، يريني رسومه وانا افعل الشيء نفسه. نتبادل الدفاتر، ويتابع كل منا عمله على رسم الآخر. كان نوعاً من الحوار». تلك كانت البداية، علماً ان مازن كان يطمح الى العمل الى جانب لور منذ كان في الثامنة من عمره. كانت لور تحضر حينذاك لعرض رسومها في «كاليري بخعازي»، رسم مازن بداية متأثراً بأسلوبها وطلب ان تعرض رسومه الى جانب لوحاتها، فأجابته: «عندما تكبر وترسم المزيد، لن تكون هناك مشكلة في ان نعرض معاً». لم ينسَ هذا الوعد، وان شعر بعد فترة بأنه غير معجب بأعمالها على الاطلاق، لا بل كان يراها «مجرد خربشات»، وتساءل لماذا يسمون هذه الاعمال رسماً؟

احتاج مازن وقتاً طويلاً قبل ان ينظر مجدداً الى لوحات لور باعجاب شديد ويشعر انها تكلمه. عن ذلك يقول: «راودتني مجدداً فكرة العمل المشترك. ولكن كنت ارفض ان اعمل معها قبل ان اشعر بأن في امكاني ان اوثر فيها كما هي تؤثر فيّ». كان يجب ان تخرج العلاقة من اطار الولد الذي يعمل مع امه لتصل الى مرحلة الفنان الذي يعمل مع فنان. كان لا بد ان تكون لي شخصيتي الفنية المستقلة وأرى تأثيري في رسوم والدتي لأن تأثيرها في موجود مذ كنت صغيراً. كنت في حاجة الى أن ابرهن لنفسي ولها ان في امكاني تقويم عملها والقول انه ليس جيداً ما لم يكن كذلك. عندما بدأت لور تخشى ان انجز اعمالاً افضل منها، بلغنا مرحلة العلاقة المتساوية. لم نعد اما وابنا. اصبح هناك تحد، من يحفز الثاني اكثر ويدفعه في اتجاه اللوحة. قبل بلوغ هذه المرحلة التي وضعتنا على قدم المساواة لم يكن ممكناً ان نعمل معاً».

تصف لور العمل مع مازن بالتحدي: «عندما نرسم، انسى انه ابني، عنده اسلوب يهزني. انا اعمل مثل النملة رويداً رويداً. اما هو فيحتاج الى الاثارة والانفعال ليرسم. انه كسول ويحتاج الى الكثير ليحركه. كنت اتحداه وكان رد فعله يعجبني. عندما يتجاوب معي او ينفعل في وجهي أو يعاكسني ويشاكسني يصل الى

نتيجة في عمله لا يمكن ان يبلغها بمفرده، لأنه ينقصه الكثير من الصبر. عنده شطارة تتيح له قدرة الرسم بسرعة وبلا حاجة الى تشغيل عقله او مخيلته. لكنني بأسلوب النمنمة في رسومي اجبرته على ان يستفيق ويشعر ان ثمة شيئاً يتغير بالنسبة اليه. صحيح اني أخذت منه ولم اعد انمنم واضيع وقتي في الهوامش. ولكن هو ايضا أفاد وصار يأخذ وقته اكثر. وبات يدرك اننا لا يمكن ان نرمي كل شيء بلا رجعة. هكذا بدأت العلاقة في الرسم».

«البورتريه» المزدوج

تحولت الرغبة في العمل المشترك واقعا ملموسا للمرة الاولى في معرض سرسق العام الماضي، عندما عرض مازن ولور «بورتريه» مزدوجا تحت عنوان «انت وانا» ونال جائزة لجنة التحكيم. رسما نفسيهما بقلم رصاص وتبادلا الرسوم وصار كل يملأها وفق اسلوبه الخاص. تقول لور: «في تلك التجربة كان لا يزال كل منا يحترم خصوصية الآخر، ويريد ان يظهر في الوقت نفسه خصوصيته».

لم تكن تجربة الرسم بأربع أيدٍ نضجت فعلا، بل كانت لا تزال تتلمس طريقها التي لا تخلو من تحديات كثيرة اهمها ان يتخلى الفنان عن «الأنا». يقول مازن «في البداية، كان الاحترام لعمل الآخر والخشية من التدخل فيه. الفنان عادة لا يتعامل بهذا النوع من الاحترام مع عمله الخاص، بل يمكن ان يحطمه ويرميه اذا رآه غير جيد. في اللوحة المشتركة، لا يمكن كل منا ان يعمل كما لو ان اللوحة خاصة به. ولا يجوز ايضا ان يساير أحدهما الآخر، فاقول لها انت قوية وهي تقول لي الشيء نفسه فهذا لن يؤدي الى نتيجة. على كل منا ان يحطم الآخر ويرضى ان يتحطم بدوره بهدف تكوين شخص ثالث، فنان جديد ينجز هذه الرسوم».

لم يكتف مازن ولور بل ذهب بعيدا في غوصهما في اعماق التجربة الى حد قبول كل منهما اعطاء الآخر حق اتخاذ القرار بانهاء اللوحة على رغم صعوبته. تطلب بلوغ هذه المرحلة ان يقتنع كل واحد منهما بانه ليس وحده يدير اللوحة. اقتناع أقرأ به في كلمات قليلة وكثيفة ذُلت بطاقة الدعوة فيها مكاشفة بمكنونات التجربة، صعوباتها، تحدياتها ثم ولادتها. يقولان، لا بل يقول الشخص الثالث الذي وُلد بأيدٍ اربع ونما من حبر وورق: «كل يذهب في طريقه، يعطي رأيه، يحاول ان يقنع الآخر، يتحمس، يتمرد، يرجو، ثم يستسلم ويقتنع برأي الآخر لأنه لا بد من التوافق في لحظة ما من اجل انجاح العمل الذي تخطه ايدينا الاربعة».

شكلت حرب تموز ٢٠٠٦ نقطة تحول في علاقة الرسامين لور ومازن. انضجت رغبة التكامل والتوحد في رسومهما. فالحديث عن هذه الحرب حاضر في كل مراحل الحوار.

يقول مازن: «في حرب تموز، وتحديدًا بعد مجزرة قانا، كانت المرة الاولى ارسم فيها انساناً يبكي. بعد ١٩ يوما من الحرب، رسمت اناساً يتطايرون، رسمت اشلاء، ربما كان اقصى ما رسمت. دخلت على «بلوغ» لور (تلك كانت احدى وسائل التواصل الفني بينهما) ورأيت انها رسمت اشخاصاً، لا نكاد نراهم، داخل اكياس نايلون. تأثرت كثيرا وقلت كيف لم افكر ان ارسم كيس نايلون بدل كل هذه الاشلاء. هذا مثال على التحدي الذي لا نزال نعيشه».

سجال الرسم والكلام

احتاجت تجربة الرسم بأربع ايدٍ الى اربع سنوات للخروج بها رسميا الى العلن. لم يكن ذلك ممكنا قبل انجاز اعمال لا تشبه كل منهما، بل تشبههما معاً الى حد لا يمكنهما انفسهما ان يميزا اي جزء انحزته هي واي جزء انجزه هو. يقول مازن او ربما لور هي التي تقول، لانه بعد فترة من بدء الحوار لا يعود المُحاور يُميز من منهما الذي يتحدث، يقولان معا او يقول الرسّام الثالث الذي اخراه من داخلهما: «صرنا نعمل كأننا واحد. لم نعد نسأل ماذا يمكن للآخر ان يفعل باللوحة ونتصرف بالتالي على هذا الاساس، لأن هذا خطأ. الرسام عادة يعرف اين يذهب بلوحته او اين يحاول ان يذهب بها. التجربة هنا مختلفة يبدأ كل منا العمل وهو مدرك ان هناك شخصا آخر سيغيره. هذه اشبه بالموسيقى المرتجلة. لست وحدك من يعزفها، بل هناك من يشاركك العمل ويمكنه ان يحدث فيه تغييرا. اصبح مسار العمل اهم من النتيجة التي سنصل اليها في النهاية. حتى الكلام في اللوحة هو وليد اللحظة. اللوحة، سجال في الكلام والرسم».

لا ينكر مازن ولور انهما لا يرغبان احيانا في ان يتقاسما العمل على احد الرسوم. يقول كل منهما: «سأدعها لنفسى واكملها على طريقتي ولا داعي لان تكون جزءا من المعرض، لانني اعرف تماما كيف يجب ان تنتهي» ولكنهما لا يفعلان لانهما يخرقان بذلك شروط «اللعبة». يتقاسمان اللوحة والخوف يعتريهما لانهما على يقين أن ما سيفعله الآخر هو غير ما سيفعله صاحب اللوحة. في المقابل، يدركان ان النتيجة التي سيصلان اليها معاً هي ما لا يمكن ان ينجزه كل على حدة.

تتابع لور رسومها الخاصة وكذلك مازن، لكن هذا لا ينفي ان العمل الفردي لكل منهما تأثر بعمل الآخر. وهما يفكران دائما بمشاريع اخرى مشتركة، قد تكون كتاب رسوم يقوم على المبدأ نفسه الذي اعتمدها في المعرض.

وعندما ترى اعمال مازن ولور الفردية ترى الاختلاف بينهما كبيرا، ولكن اذا دقت في اعمالهما المشتركة تشعر بانهما باتا فعلا شخصا واحدا. هو ما تسميه لور «رابط الاحشاء، ليس بمعنى اني امه وهو ابني، بل هناك شيء نما داخل شيء وانفصل عنه ويبحث للاتحاد معه مجددا. هناك وجودان يريدان ان يتحدا لانجاز العمل. لذلك اذهب معه وهو يأتي معي. كأن منا يتمنى ان يلاقيه الآخر في منتصف الطريق ولا ييوح».

(●) يُفتتح المعرض في آذار في «غاليري جنين ربيز» ويستمر الى ١٠ نيسان ٢٠١٠

جنى نصرال